# ٦ - المانوية

تنسب إلى مانى بن فاتك ، وقد قيل إن أصل أبيه من همدان انتقل إلى بابل ، وقيل إنه مانى بن برماين الثنوى الذى تنسب إليه المانوية ، ويذكر ابن النديم روايات أتباع مانى التى تتحدث عن ولادته حديثا أسطوريا، وتضفى على حياته منذ الصغر نوعا من القداسة ، وأنه أعد إعدادا خاصا لكى يكون نبيا بل وخاتم الأنبياء ، فمنذ ولادته كانت أمه ترى له المنامات الحسنة ، وكانت ترى فى اليقظة كأن آخذا يأخذه فيصعد به الجو ، ثم يرده ، وربما أقام اليوم أو اليومين ثم يرد .

وكان مانى على صغر سنه ، يتكلم بكلام الحكمة ، فلما بلغ الثانية عشرة أتاه الوحى - على حد قوله - من ملك جنان النور ، وكان الملك الذى جاءه بالوحى يسمى التوم ، ومعناه القرين ، فقال له : اعتزل هذه الملة ، فلست من أهلها ، وعليك بالنزاهة وترك الشهوات ، فلما تم له أربع وعشرون سنة ، أتاه التوم فقال : حان لك أن تخرج فتنادى بأمرك .

ويذكر ابن النديم نص كلام التوم إلى مانى وهو « عليك السلام ، منى منى ومن الرب الذى أرسلنى إليك ، واختارك لرسالته وقد أمرك أن تدعو بحقك ، وتبشر ببشرى الحق من قبله ، وتحتمل فى ذلك جهدك » .

وبينما تعلى هذه الروايات من قدر مانى ومنزلته ، نجد روايات أخرى تصوره على أنه كان على دين المسيح ، وكان محمود السيرة بين أساقفة النصارى ، لكنه أتى أفعالا غير أخلاقية فسقطت مرتبته ، لكنه رد عليهم بأن ذلك حسدا منهم ، وأن سبب ذلك هو مخالفته لهم فى أصل دينهم .

وعلى كل فلقد كان لمانى أصحابه ، واستجاب إلى دعوته سابور بن أردشير الذى ناصر دعوة مانى ومكن لأصحابه فى البلاد ، وأعزهم ، لكن لما انتهت توبة الملك « بهرام » أخذ مانى وسلخه وحشا جلده تبنا وعلقه ، وقتل أصحابه إلا من هرب والتحق بالصين ودعوا إلى دين مانى فقبل أهل الصين منهم تلك الدعوة[1] .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ص٤٥٦ - ٤٥٨ ، الرازى : اعتقادات المسلمين والمشركين ص١٣٨ - سرج العيون شرح رسالة ابن زيدون لابن نباته ٣٤ .

ولقد ظهر مانى بعد عيسى عليه السلام ، ويذكر الشهرستانى أنه قد أخذ دينا بين المجوسية والنصرانية ، وكان يقول بنبوة عيسى عليه السلام ، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام ، وذكر الوراق أنه كان مجوسيا[1] .

ولقد رفض مانى الأناجيل المعروفة ، ورأى أن بينها تعارضا ، واختار أجزاء منها ، واستند على أناجيل أعلن أنها أقدم من الأناجيل الأربعة ، وأيضا قرر أن المسيح لم يصلب ، وإنما الذى صلب شيطان تمثل فى صورته ، وأعلن هذا إعلانا حاسما ، ومستندا على الأناجيل التى بين يديه ، وعلى الأخبار المتواترة التى وصلته، وقد كان قريب العهد من ظهور المسيح ، وكان لا يأبه بالعهد القديم ، ويرى أن يد التغيير قد أصابته ، ولذلك هاجم اليهودية هجوما عنيفا ، ويرى كثيرون من المؤرخين الأوربيين صحة الكثير من آراء مانى فيما يخص العهد القديم والجديد[2] .

والمانوية تقول بأصلين قديمين هما النور والظلمة ، وهما مختلفان من حيث الجوهر والنفس والفعل والخير والجنس والصفات .

أما اختلافهما من **حيث الجوهر** ، فجوهر النور حسن فاضل كريم صاف نقى طيب الريح حسن المنظر ، أما جوهر الظلمة فقبيح ناقص لئيم كور خبيث منتن الريح قبيح المنظر .

ومن **حيث النفس** ، فنفس النور خيرة كريمة حكيمة نافعة عالمة ، أما نفس الظلمة ، فنفسها شريرة سفيهة ضارة جاهلة .

ومن **حيث الفعل** ، فالنور فعله الخير والصلاح والنفع والسرور والترتيب والنظام والاتقان ، أما الظلمة ففعلها الشر والفساد والضرر والغم والتشويش والاختلاف .

ومن **حيث الحيز** ، فالنور فى جهة فوق ، وأكثر المانوية يقولون على أنه مرتفع من ناحية الشمال ، وزعم بعضهم أنه يجانب الظلمة ، أما الظلمة فهى من جهة تحت ، وأكثرهم يقولون أنها منحطة من جانب الجنوب .

وأما من **ناحية الجنس** ، فالنور أجناسه خمسة ، منها أربعة أبدان هى النار

---

(١) الشهرستانى : الملل والنحل جـ ٢ ص ٨١ .

(٢) د. على سامى النشار : نشأة الفكر جـ ١ ص ١٩٥ .

والنور والريح والماء والخامس روحها وهو النسيم وهى تتحرك فى هذه الأبدان ، أما الظلمة فأجناسها خمسة ، منها أربعة أبدان هى الحريق والظلمة والسموم والضباب والخامس روحها وهو الدخان ، وهى تدعى الهامة وهى تتحرك فى هذه الأبدان .

وأما **من ناحية الصفات** ، فالنور صفاته حية طاهرة زكية ، وقال بعضهم كون النور لم يزل على مثال هذا العالم له أرض وجو ، وأرض النور لم تزل لطيفة على غير صورة هذه الأرض ، بل هى على صورة جرم الشمس وشعاعها كشعاع الشمس ورائحتها طيبة ، وألوانها ألوان قوس قزح ... أما صفات الظلمة ، فهى خبيثة شريرة وقال بعضهم كون الظلمة لم يزل على مثال العالم لها أرض وجو ، وأرض الظلمة لم تزل كثيفة على غير صورة هذه الأرض ، بل هى أكثف وأصلب ورئحتها كريهة أنتن الروائح ، وألوانها لون السواد[1] .

ومن هذا يتضح أن النور مبدأ أعلى من الظلمة من حيث طبيعته وصفاته وفعله، وهو مصدر الخير ولا يكون منه الشر ، أما الظلمة فهى أدنى من النور من حيث طبيعتها وصفاتها وفعلها ، وهى مصدر الشر ولا يكون منها الخير ، لذا فإن هناك خالقين ، خالق للخير وخالق للشر ، حيث إن العالم فيه خير وشر ، وهم أرادوا أن ينزهوا الله عن فعل الشر فأشركوا معه آخرا ، فزعموا أن الله تعالى لا يخلق نتنا ولا قذرا ولا شرا ، واستدلوا على ذلك بأن الله يخلق الروح الجارى فى الجسد ، وإذا ما فارق الروح أنتن ، فالخالق الآخر هو الذى خلق الجسد لأن الله لا يخلق نتنا ولا قذرا[2] .

● **وأصل العالم مكون من امتزاج النور بالظلمة ، فكيف حدث هذا الامتزاج ؟**

اختلفت المانوية فى كيفية الامتزاج ، فلقد قال بعضهم أن النور والظلام امتزجا بالخب والاتفاق لا بالقصد والاختيار ، فلم تزل الظلمة تجول فى عالمها فوقعت على النور بالخبط لا بالقصد ، وزعم كثير منهم أن أبدان الظلمة تشاغلت عن الاضرار بروحها بعض التشاغل ، فنظرت الروح فرأت النور ولم تزل تحس بأن معها غيرها ، فبعثت الروح تلك الأبدان على ممازجة النور ، فأجابتها لإسراعها إلى الشر ، فتحليت

---

(١) الشهرستانى : الملل والنحل جـ ٢ ص ٨١ - ٨٣ ، وأيضا ابن النديم : الفهرست ٤٥٨ - ٤٦٢ ، والقاضى عبد الجبار: المغنى جـ ٥ص ١٠ـ ١٦ ، والماتريدى : التوحيد ص١٥٧ .

(٢) الملطى : التنبيه والرد ص ٩٠ .

الظلمة فى صورة قبيحة فى كل جزء من أجزائها الخمسة ، فلما رأى ذلك ملك عالم النور وجه إليها ملكا من ملائكته من خمسة أجزاء من أجناسه الخمسة ، فأشرف على كل جند من جنودها الخمسة فأسرها ، فاختلطت الخمسة النورية بالخمسة الظلمية ، فخالط الدخان النسيم والحياة والروح من النسيم والهلاك من الدخان ، وخالط الحريق النار فالهلاك والإحراق من الحريق ، والإنارة والمنفعة من النور ، وخالط النور الظلمة فمنها الأجسام الكثيفة كالذهب والفضة والحديد والحجر والتراب ، فما فيها من الحسن والصفاء والمنفعة فمن النور ، وما فيها من أضداد ذلك فمن الظلمة ، وخالط السموم الريح والضباب الماء ، فما فيهما من النفع فمن النور وما فيهما من الضرر فمن الظلمة[1] .

● **وإذا كانت الظلمة قد حبست وامتزجت به ، فكيف يتخلص النور ؟ :**

**يقول مانى** : إنه لما اختلطت الأجناس الخمسة الظلمية بالأجناس الخمسة النورية، نزل الإنسان القديم إلى غور العمق ، فقطع أصول الأجناس الظلمية ، لئلا تزيد ، وأمر بعض الملائكة باجتذاب ذلك المزاج إلى جانب من أرض الظلمة يلى أرض النور ، وأقام ملكا آخر دفع إليه تلك الأجزاء الممتزجة ، وأمر ملك النور ملكا من ملائكته فخلق هذا العالم على هذه الهيئة لتتخلص أجناس النور من أجناس الظلمة ، ثم خلق الشمس والقمر وسائر النجوم لاستصفاء ما فى العالم من نور ، فالشمس يستصفى النور الذى اختلط بشياطين الحر ، والقمر يستصفى النور الذى اختلط بشياطين البرد ، والنسيم الذى فى الأرض لا يزال يرتفع ، لأن من شأنها الارتفاع إلى عالمها ، وكذلك جميع أجزاء النور أبدا فى الصعود والارتفاع ، وأجزاء الظلمة أبدا فى النزول والتسفل حتى تتخلص الأجزاء من الأجزاء ، ويبطل الامتزاج وتنحل التراكيب ويصل كل إلى كله وعالمه ، وذلك هو القيامة والمعاد .

ولا يقتصر تخلص النور من الظلمة على تلك الصورة الطبيعية التى تتسم بالصراع بين النور وأعوانه وبين الظلمة وأعوانها ، بل يتم أيضا بما يرتفع من التسبيح والتقديس والكلام الطيب وأعمال البر ، فترتفع تلك الأجزاء النورية إلى الشمس ، التى تدفع ذلك النور إلى عالم فوقها هو عالم التسبيح ، فيصير فى ذلك العالم إلى

---

(١) القاضى عبد الجبار : المغنى جـ ٥ ص ١٢ - ابن الجوزى : تلبيس إبليس ص ٤٤-٤٥ .

النور الأعلى الخالص ، فلا يزال ذلك من فعلها حتى يبقى من النور شيء منعقد لا تقدر الشمس والقمر على استصفائه ، فعند ذلك يرتفع الملل الذى كان لحمل الأرضين، ويدع الملك الآخر اجتذاب السماوات فيختلط الأعلى على الأسفل ، وتفور نار فتضطرم فى تلك الأشياء ، فلا تزال مضطربة حتى يتحلل ما فيها من النور[1] .

وهكذا نجد تفسيرا أسطوريا لنشأة الخلق ، يختلط أحيانا بأمور أخلاقية ، وهذا يشير إلى اختلاط الاخلاق باليتافيزيقا ، فى تلك الديانات ، ومحاولة تفسير ما بعد الطبيعة على أساس أخلاقى ، لكنه تفسير تغلفه الأساطير ، ويمتلىء بالخرافات التى لا يقبلها العقل .

ويتجلى الجانب الأخلاقى عند المانوية فى الشريعة التى قال بها مانى ، فنجده يوصى الإنسان بالأخلاق الفاضلة ، فهو يقول بشروط أخلاقية لمن ينبغى أن يدخل فى الدين ، فعلى الذى يريد أن يدخل فى الدين أن يمتحن نفسه ، فإن رآها تقدر على قمع الشهوة والحرص وترك أكل اللحم وشرب الخمر والتناكح ، وترك أذية الماء والنار والسحر والرياء ، فليدخل فى الدين ، وإن لم يقدر على ذلك كله فلا يدخل فى الدين ، وإن كان يحب الدين ولم يقدر على قمع الشهوة والحرص ، فليغتنم حفظ الدين والصديقين ، وليكن له بإزاء أفعاله القبيحة أوقات يتجر فيها للعمل والبر والتهجد والمسئلة والتضرع ، فإن ذلك ينفعه فى عاجله وآجله .

وبالنسبة للفرائض التى فرضها مانى على أصحابه ، نجد أنه قد فرض عشر فرائض على السماعين ، ويتبعها ثلاث خواتم ، وصيام سبعة أيام أبدا فى كل شهر ، فالفرائض هى الإيمان بالعظائم الأربع : الله ونوره ، وقوته ، وحكمته ، فالله جل اسمه ملك جنان النور ، ونوره الشمس والقمر ، وقوته الأفلاك الخمسة ، وهى التوم والريح والنور والماء والنار ، وحكمته الدين المقدس ، وهو على خمسة معانى: المعلمين أبناء الحلم ، المشمسين أبناء العلم ، القسيسين أبناء العقل ، الصديقين أبناء الغيب ، السماعين أبناء الفطنة والفرائض العشر ، وترك عبادة الأصنام ، وترك الكذب والبخل والقتل والزنا والسرقة وتعلم السحر والشك فى الدين والاسترخاء والتوانى فى العمل[2] .

(١) الشهرستانى : الملل والنحل جـ ٣ ص ٨٤ ، ابن النديم : الفهرست ص٤٦١، القاضى عبد الجبار : المغنى جـ ٥ ص١٤، ١٥ .(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٤٦٥-٤٦٦ .

وهذه الفرائض أيضا ذات صبغة أخلاقية تدعو إلى السلوك الفاضل ، لكنها فى جانب الاعتقاد لا تبلغ تلك المرتبة ، إذ لم تتخلص من ذلك الجانب الأسطورى الذى يحوى تفسيرات خرافية .

وبالنسبة لفكرة التناسخ والتى شغلت مكانا كبيرا فى معظم الديانات الشرقية القديمة ، فآمنوا بها وحاولوا الاستدلال عليها ، وفصلوا القول فى كيفيتها ، نجد أن مانى كما يذكر البيرونى قد أخذ فكرة التناسخ من الهند ، فيقول « وكان ( مانى ) نفى من ( ايرانشهر ) فدخل أرض الهند ونقل التناسخ منهم إلى نحلته »[1] .

ويشرح البغدادى رأى مانى فى التناسخ ، فيذكر أنه قال فى بعض كتبه ، إن الأرواح التى تفارق الأجسام نوعان : أرواح الصديقين ، وأرواح أهل الضلالة ، فأرواح الصديقين إذا فارقت أجسادها سرت فى عمود الصبح إلى النور الذى فوق الفلك ، فبقيت فى ذلك العالم على الشرور الدائم ، وأرواح أهل الضلالة إذا فارقت الاجسام وأرادت اللحوق بالنور الأعلى ردت منعكسة إلى أسفل ، فتتناسخ فى أجسام الحيوانات إلى أن تصفو من شوائب الظلمة ، ثم تلتحق بالنور العالى[2] .

ولقد أضاف ابن النديم إلى هاتين الطبقتين ، طبقة المحاربين فقال : « فأما الإنسان المحارب القابل للدين والبر ، الحافظ لهما وللصديقين ، فإذا حضرت وفاته حضر أولئك الآلهة الذين ذكرتهم ، وحضرت الشياطين واستغاث بما كان يعمل من البر وحفظ الدين والصديقين ، فيخلصونه من الشياطين ، فلا يزال فى العالم ، شبه الإنسان الذى يرى فى منامه الأهوال ويغوص فى الوحل والطين ، فلا يزال كذلك إلى أن يتخلص نوره وروحه ، ويلحق بملحق الصديقين ، ويلبس لباسهم ، بعد المدة الطويلة من تردده »[3] .

ووفقا لهذه الأقوال عن أحوال الناس بعد الموت ، فإن فيها القول بالتناسخ ، ورجعة الأرواح إلى العالم الأرضى ، وتكرار مولدها ، وهذا التناسخ وتكرار المولد هو عقوبة تنالها الأرواح الشريرة على الأرض حتى تسمو وتلتحق بالنور الأعلى .

إلا أن هذا التناسخ لا يعنى إنكار المعاد ، فلقد ذكر ابن النديم فى عرضه

---

(١) البيرونى : تحقيق ما للهند من مقولة ص ٤١

(٢) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٧١ .

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٤٦٩ .

لأقوال المانوية ، رأى مانى فى المعاد بعد فناء العالم ووصف الجنة والجحيم ، فيقول: « قال : ثم إن الإنسان القديم يأتى من عالم الجدى والبشير من الشرق والبناء الكبير من اليمن وروح الحياة من عالم الغرب ، فيقفون على البنيان العظيم الذى هو الجنة الجديدة ، مطيفين بتلك الجحيم ، فينظرون اليها ، ثم يأتى الصديقون من الجنان إلى ذلك النور فيجلسون فيه ، ثم يتعجلون إلى جمع الآلهة فيقومون حول تلك الجحيم، ثم ينظرون إلى عملة الإثم يتقبلون ويترددون ويتضورون فى تلك الجحيم ، وليست تلك الجحيم قادرة على الإضرار بالصديقين، فإذا انظر أولئك الآثمون إلى الصديقين ، يسئلونهم ويتضرعون إليهم فلا يجيبونهم ، إلا بما لا منفعة لهم فيه من التوبيخ فيزداد الأثمة ندامة وهما وغما فهذه صورتهم أبد الأبد »[1] .

وبالنسبة لموقف مانى من الرسل ، فلقد تضاربت الأقوال فى ذلك ، فنجد اتفاقا بين رواية البيرونى والقاضى عبد الجبار فى ذلك ، فيذكران قول مانى فى أن أول ما بعث الله تعالى بالعلم آدم ثم شيثا ثم نوحا ، وبعث زرادشت إلى فارس وبالبددة إلى أرض الهند ، وعيسى إلى بلاد المغرب ثم مانى خاتم النبيين[2] .

وتكاد تتفق رواية الشهرستانى مع ما ذكره البيرونى والقاضى عبد الجبار بخصوص اعتراف مانى بنبوة بعض الأنبياء[3] .

بينما يذكر ابن النديم أن مانى ينتقص سائر الأنبياء فى كتبه ويزرى عليهم ، ويرميهم بالكذب ، ويزعم أن الشياطين استحوذت عليهم ، وتكلمت على ألسنتهم ، بل يقول فى مواضع من كتبه أنهم شياطين ، ويزعم أن عيسى شيطان[4] .

ويمكن ترجيح القول بأن مانى يقول بنبوة بعض الأنبياء ، إذ أن معظم الروايات تقول بأنه أخذ دينا بين المجوسية والنصرانية وأنه يقول بنبوة عيسى عليه السلام ، وربما يكون ما ذكره ابن النديم عن قول مانى بأن عيسى شيطان ، يكون القصد منه أن عيسى لم يصلب وأن الذى صلب هو شيطان بدلا عنه .

ولقد انقسمت المانوية بعد مانى إلى فرقتين هما المهرية والمقلاصية - وقبل وفاة

---

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٤٦٨ - ٤٦٩ .

(٢) البيرونى : الآثار الباقية ص ٢٠٧ والقاضى عبد الجبار : المغنى جـ ٥ ص ١٥ .

(٣) الشهرستانى : الملل والنحل جـ ٢ ص ٨٥ .

(٤) ابن النديم : الفهرست ص ٤٦٨ .

مانى أقام « سيس » الإمام بعده فكان يقيم دين الله وطهارته إلى أن توفى ، وكانت الأئمة يتناولون الدين واحدا عن واحد لا اختلاف بينهم - وتوالت الرياسات إلى أن أفضت الرياسة الكلية إلى « مهر » وذلك فى ملك الوليد بن عبد الملك .

ولقد أوصى « مهر » قبل وفاته بأن يجعلوا « مقلاص » رئيسا من بعده ، وقال لأتباعه « هذا مقلاص » قد عرفتم مكانه ، وأنا أرضاه وأثق بتدبيره لكم .

ولما تولى « مقلاص » الرئاسة خالف الجماعة فى أشياء من الدين ، ولقد ذكر القاضى عبد الجبار عن السمعى الخلاف بين المقلاصية والمنانية ، فقال : « إنهم يذهبون مذهب المنانية خالفوهم بأن قالوا ، لابد من أن يبقى فى المزاج شىء من جوهر النور لا يقدر النور على تخليصه ، فإذا طال مكثه فى المزاج استحال فصار ظلمة ، وهو تلك القوة التى يربط بها الظلمة إذا تخلصت من المزاج »[1] .

* * *

(١) القاضى عبد الجبار : المغنى جـ ٥ ص ١٨ .



obeikandl.com